

الباب الثالث:

خبز الغلابة
وموال الرصيف
وناي الوجع

تراسل الحواس واستدعاء الواقع

عند فوزي عيسى ووطن هربان من الأجرة

في (حبّة هدوء)

مما لا شك فيه أن قصيدة الشعر العامي هي نبض الوطن الحقيقي وموالة الشادي في الآونة الأخيرة، وأصبح الشعر العامي بلا مبالغة رغيف عيش الفقراء ورداءهم الذي يستدفئون به عندما يزيد عليهم برد الوجد، وبعيدا عن المعارك الأدبية الحادة من أن الشعر العامي يساعد على تغريب العربية وضياعها بين أبنائها، وذلك وهم خاطئ، لأن العربية محفوظة بحفظ كتابها المقدس وسنة رسوله (صلى الله عليه و سلام)، وليس بصحيح قول بعضهم إن ما أبرز شعر العامية المصرية وجعله مزاحما للفصحى إلا ضعف شعراء الفصحى أنفسهم وتغريبهم للشعر بضعف تناولهم، وإن كان لهذا الاتهام نصيب كبير من الصحة، ولكن ما ساعد على أن يخلق شعر العامية في سموات أبعد من الفصحى أنه أصبح النافذة الأكثر تعبيرا عن هموم وأوجاع وأحلام الإنسان البسيط والمتقف على السواء وليس المصري فقط بل العربي عامة، لما للهجة المصرية من مكانة كبيرة لدى

الشعوب العربية بفضل الإعلام وأفلام الزمن الجميل ونبوغ شعراء العامية المصرية الذين هم على قدر من الموهبة الفذة والثقافة الواسعة.

وقد استطاع شعر العامية المصرية أن يفك رمز الغربية ويهدم حوائط التغريب والهجر بين المتلقى العادي وبين الشعر وممتعة تذوقه، والفضل يرجع إلى شعراء جيل استطاعوا أن يكونوا لسان حال الشعب والمعبر عن آلامه، بلغتهم البسيطة ونسجهم للصورة الشعرية المبهرة والابتكارية التي كثيراً ما يعجز عنها أبناء الفصح - وليس الفصح بعاجز - الذين يدورون في فلك شعر العصور الخوالي ولم يقدموا صورة ابتكارية للمعاني الإنسانية ويتماشون مع العصر وثرأء النفس، بل يكررون نفس المعاني بلا إبداع أو ابتكار إلا في النظم والتفاخر بأنهم يكتبون على البحور الصعبة، ويكتبون قافية صعبة لا يقدر عليها إلا المتبحرين في علم الشعر - إلا من رحم ربي - وكأن الشعر صار كهنوتا وميدانا للمبارزة الأكاديمية فقط، وليس تعبيراً عن نبض ووجع ورؤية استشرافية وبساطة في اللغة والأسلوب، وهذا ما ارتقى إليه وبسلاسة شعراؤنا الأفذاذ في رحاب العامية المصرية الثرية والعميقة بمردفات فصيحة المتن عامية النطق، وقد استطاعوا أن يحلقوا بعيداً جداً بالمتلقى في عوالم من الشاعرية الراقية..

ومن هؤلاء الشعراء الحقيقيين الذي يكتبون الفصح فيبدعون، ويتغنون بالعامي فيبهرون، الشاعر فوي عيسى، ذلك الشاعر المقتول على باب وطن يسفح دمه ويستبيحه كل يوم بلا رفق أو شفقة، فهو الوطن والمواطن في قصيدة بها كل جماليات الشعر العامي بأناقة وشياكة الفصح مع الابتكار في الصور والاسترسال في رصد مواقف الواقع المصري والعربي المستباح على رصيف المادية الشنيعة وجهها وقلبا.

(حبة هدوء)، قصيدة تراسل الحواس واستدعاء بعض المواقف الحياتية التي يمر بها المواطن والوطن يوميا، يرصدها فوزي عيسى بقلب مواطن مقتول بعشق الوطن، وعقل فيلسوف حكيم، ولفظ خبير بمعجم الفصح باقتدار، فتلك القصيدة، فنجان قهوة في هدأة الليل، مع مواطن يدعوك لترتشف معه وجبة شجن تجعلك تتنفس الصعداء بتهيدة طويلة تخرج من بين ضلوعك لتشعر بعدها بهدوء عميق، وتلك رسالة الفن الهادف كما قال أرسطو "أعطني حبا ومسرحا أعطيك شعبا راقيا"، فالفن الحقيقي ناهيك عن أنه رصد للواقع، فهو المطهر للنفس في لحظة صفاء ومتمعة فكرية تنقي النفس ولو لساعات ليخرج ما بها من أحزان.

يعتمد فوزي عيسى على نظام المقاطع المفككة التي

تقوم على عدة مشاهد متفرقة من الحياة اليومية،
رصدا للواقع في صورة شعرية كلية مبهرة، معتمداً
على خيط درامي متنامي بتنامي لحظة استدعاء داخلي
لأوجاع الشاعر الذي يدخل رويدا رويدا لعالمه
الداخلي الخاص بطريقة هندسة القصيدة المفككة:

في الشارع المقفول
سيّبت من أيدي الحمام
ووقفت أستتّى البراح

.....

فين رُحت يادي الحمام
ونسيت؟!

فمنذ الجملة الأولى يصدمك فوزي عيسى بالجملة
الافتتاحية (في الشارع المقفول)، ليستخدم لغة
المفارقات الجميلة، شارع ومقفول، يا لكم الوجد
والانهزامية والانكسار منذ اللحظة الأولى! وكأنه يأبى
إلا أن يدخلك سريعا إلى حضرة النزف والوجد،
شارع مقفول، إنه شارع الوطن البراح الذي يغلق في
عين عشاقه ومريديه سبل الخروج إلى البراح فيه،
وبالطبع تكون النتيجة الحتمية (سيبت من أيدي
الحمام)، حلم الروح وحلم البراءة و الإنسانية البريئة
والحرية، وهو حال أي مواطن إنسان ينتظر البراح،

براح الحلم والحرية والعيش الكريم، ولكن قد نسي حلمه في زحمة الواقع و آلة الدنيا التي تقتل الأحلام في وطن صار شارعا مقفولا وبقسوة.

ولكنه الفلاح المصري الحامل لجينات التمرد، ولد شقي لا يستسلم بل يكون القط الذي يقفز من مكان إلى مكان فوق الحواجز ساعيا خلف حلمه، محاولا تخطي كل أسوار سجن الوطن ليصل إلى عالمه، صانعا وطنه الذي يحلم به :

فُط بينط

نطيت من على سور لسه مبني جديد

وزرعت حبة ضل

لسه النهار بيطل

والشمس فوق الأرضفه بتسيح

شوك الزمن راكب على المراجيح

شَبَك الأسى ف كعوبي

ما اتهديت.

إنه المواطن البسيط الذي برغم همومه اليومية وجزعه أمام ضغوط الواقع إلا أنه يأبى إلا أن يترك بصمة حب وخير في كل مكان، وأثراً يعبر عن طبيئته وبساطته (وزرعت حبة ضل)، ثم يأخذك إلى عالمك أنت أيها المتلقي الكريم الذي هو حاله في (شوك الزمن راكب على المراجيح) ليكن لسانك أنت في

التعبير عن جراحك الدائمة، وكأنك أنت المتحدث،
فالشاعر المعجون بهوم المواطن رسول عنك وإليك،
ولترى معي تنامي الخيط الدرامي واللغوي منذ البداية
(قط، سور، زرعت، النهار، شوك الزمن، مراجيح،
كعوبي، ما اتهديت) .. لغة تتحدث وبفصاحة عما
يعانيه ويكابده، ليس فوزي عيسى خاصة، بل كل
إنسان يحيا في رحاب الوطن وإن شئت كل مواطن
يحيا بين جنبات هذا الكون، ومن هنا تكن عالمية
العمل الأدبي، فصدق التجربة الذاتية تخرج بالعمل من
حيز المحلية الضيقة إلى براح العالمية الإنسانية
بصدق التعبير عما يعاني من قضايا إنسانية. وبعد تلك
المقدمة الجامعة يأخذك إلى حيث تفاصيل المعاناة
اليومية للإنسان، فيلجأ إلى أسلوب التفصيل بعد
الإجمال ويبدأ في رصد تلك المشاهد الحياتية المعاشة:

ورجعت ثاني البيت
مخنوق من الأيام
م الساسه والحكام
من بابا جه يا هشام
ومن مادا ومن ميدو
ومن كل اللي بنريده
دلقت حبة حزن ع الكنبه
آخر حدود الذاكره بتمر من جرنان قديم
على ناصية الشارع

ولد نايم وحاضن سكته التايهه
على سلم الأتوبيس
شفت الوطن هربان من الأجره
عمّال بيحسب إيه اللي يجرى
لو عينين الكمساري
قفشت عينيه.

المشهد الأول: مواطن يعود إلى بيته، السكن والراحة
والمكان، ولكن تأبى الهموم أن تتركه، فهو المُحمل
بكل هموم الدنيا ورتابة الأيام وكأن همه لا يفارقه
حتى داخل جدران ذاكرته (الساسة الحكام، بابا جه يا
هشام)، رتابة العيش وتسלט هموم الحياة من الساسة
والحكام، ورتابة الحياة الأسرية التى أكلت براح
الروح وحولت إنسانه إلى جسد بلا روح داخل بيته،
وهنا نرى الترتيب المنطقي للأحداث، فرتابة الحياة
سببها ما يدرو فيه المواطن الذي أصبح يلهث دوما
وراء لقمة العيش، فانقطعت الصلة الروحية بينه وبين
عالمه، الأسرة والحب والجلوس معهم ليعمق روح
الحب والانصهار العاطفي بينه وبين الحياة، وما هذا
التغريب إلا نتاج تجبر الساسة وظلم الحكام، فما بالك
إن كانت تلك الروح روح شاعر؟!
وتأتي اللقطة الصادمة التى لا يستطيع أن يلتقط
أبعادها الشعرية الجميلة إلا عين شاعر يعاني حد

النزف فيجسد المعنوي ويحوّله الى واقع مادي محسوس وفي منتهى الشاعرية والوجع (على سلم الأتوبيس - شفت الوطن هربان من الأجرة).

نعم إنه التصوير الدرامي لحالة وطن بكامله يتشعبط على باب الأتوبيس في قمة الذل والمعاناة الدامية والقهر، إنها الصورة الصادقة الصادمة للوطن، الذي لا يستطيع التعبير عنها وبتلك الصورة الدرامية إلا شاعر مسكون بحب الوطن والمواطن والشعر، وأجمل ما في الصورة التحليل النفسي لمعنى الخوف والرعب من الوقوع في يد السلطة المحتكرة لكل شئ، بعدما فرضت عليه الجوع والفقر ودفعته إلى الهروب والتزويغ من دفع ثمن تذكرة لم يعد قادرا عليها، فيحيلك إلى عينيه لترى كم الخوف والقهر والرعب، فهو الشاعر العارف ببواطن الإحساس النفسي وجماليات الشعر الحقيقي.

ثم ينتقل إلى مشهد ثان يحيلك إلى حياة ذلك المواطن داخل بيته، فهو المحبط المحاصر بالجوع والعجز، المهزوم في كل مكان، الذي يأبى الهم والوطن أن يفارقاه لحظة، فيجلس شاردا بعيدا جدا، غريبا ومهزوما من وطنه الذي يعشقه ولكنه صار السجن والسجان. فبعين المخرج المحترف ينتقل بك من خلال كاميرته الشعرية إلى مشهد درامي آخر:

شم الوجع

ريحة السهر ووعيت
إن الليالي قد أوقاتها
إن المواسم تنسى اللي بيفوتها
إن الهموم مش هي آخر سكن
طنّ الطنين ف القلب واتمدد
زي الرحيل لبعيد
زي الشهيد ساعة طلوع الروح
خُذني منين ماتروح
يا راكب النور اللي ماوطاش
أحلامي لسه طشاش
والسكه ماتوديش.

ويأبى المواطن فوزي عيسى إلا أن يكون شاعرا
جراحا يشرّح ما يجري حوله بمِشرط شاعرية
ساحرة، كمخرج عبقري فيلسوف يأبى إلا أن يترك
بصمة من رؤيته الفلسفية على تلك الصورة، فلهذه
فلسفته الخاصة (الليالي قد أوقاتها)، لحظة الوجد أو
الفرح تطبع الأيام بطابعها، وكأنك أنت من تصنع
وتلون أيامك حسب حالتك النفسية وما ينعكس عليها،
فهي ملكك أنت تصنعها كيفما تشاء، وكذلك (مواسم
الفرح) والشباب والمتعة، لا تنتظر تأجيل، ومن
يؤجلها فلا يلومن إلا نفسه، فمواسم الفرح (تنسى اللي
بيفوتها)، فعليك ألا تقتل نفسك هما وغما وتنسى

الحياة، فليست

(الهموم هي آخر سكن)، بل هناك مساكن أخرى، وبرؤيته الفلسفية تلك كأنه يلوم نفسه ويجلد ذاته أن فرط فيها وباع نفسه واستسلم للهموم و الأحزان، ومن تلك الفلسفة يأخذك مرة أخرى إلى الخيط الدرامي المتصاعد مُرجعا إياك إلى الواقع المرير عندما يفور الحزن والشجن في قلبه، فيخاطب راكب النور، الحرية والبراح والانطلاق، أن يأخذه معه بعيدا عن هذا العالم الرافض له، فالأحلام طشاش ومعالها غير واضحة وكل السكك لا توصل إلى شئ، وتتواصل الأوجاع تترى.

ولابد لنا من وقفة عن معنى الصداقة الحقيقية في تلك الصورة التعبيرية التي تعكس وبجلاء مدى إيمان فوزي عيسى لمفهوم الصداقة، وأن نقف على بُعد من أبعاد غربته النفسية في (يا حامل النور اللي ما وطاش) متحدثا عن صديقه الذي كان مصدر النور في شموخ وشهامة، فقد كان لشاعرنا مصدرا للنور والضياء وسط ظلمات دنياه المقفرة، والذي كان يمنحه راحة وبريقا من أمل ثم رحل، وفي نهاية القصيدة عندما تحاصره الدنيا يحن إليه في مثواه البعيد جدا، مناجيا في خشوع (خدني معاك يا حامل النور اللي ما وطاش)، فقد ضاقت الدنيا ونشبت الأحزان مخالباها في قلبه، فيناجيه أن يأخذه إلى هناك حيث البراح

والصديق والهدوء الدائم زاهدا في دنياه، بعدما خلت
حتى من صديق النور:

عنواني آخر أوضه في الجنة
آخر براح في الأفق
آخر سما زرقا بتضحك ضيَّ
كان الزمن واقف على الحيطه
عمّال يقول لي حي
أنا الموهوم وإيه آخره
هو الطريق دا ولا مش فاكْرُه
طن الطنين في القلب واتمدد
زي العيال ما تشاغب الحارات.

تجد هنا صورة سريالة لشاعر مواطن يحلم ببراح
الكون وسماء صافية تضحك بزرقتها في تتاغم و
توحد بين الكون و الإنسان، فهو الانطوائي جبرا،
المحصور في غرفة الهزيمة والانكسار، يحلم وفقط،
ولكن زمنه يعيب عليه، وصوته الرافض داخله يناديه
(حي)، فتلك الصور على جدران الحائط تستدعي
فورة الشاب داخله أيام كان، وكلمة (حي) هنا لا
تحتمل معنى دروشة الحضرة ولكنها فعل الأمر، ذلك
الفعل الداعي إلى الحياة، يستدعيه ويستتفر داخله
عزيمته وروح الحياة .. (حي) حي على الحياة، على

الرفض، على الانطلاق، ولكن للأسف فقدت قدماه
معالم الطريق، فتثور الذكريات القديمة داخل روحه
(زي العيال ما تشاغب الحارت).

ونرى في جسد القصيدة العامية عنده خصوبة وحيوية
الصورة الشعرية حاضرة وماتعة بكل قوة وعنفوان،
متماشية مع طبيعة الموضوع، وهو البارع في تجسيد
المعنى وتحريك الساكن وتسكين المتحرك، فيضع
أمامك المشاعر الإنسانية في صورة حسية باهرة (كان
الزمن واقف على الحيلة) (سما زرقة بتضحك
ضي) (زي العيال ما تشاغب الحارات)، و إن كنا
نعيب عليه كلمة (زي) التي تحيلك إلى التشبيه وهو
أضعف أدوات التصوير البلاغي بالنسبة للألوان
البلاغية الأخرى. ثم ينتقل بنا إلى حالة خاصة به هو
نفسه وفقط عندما يستدعي وجه ذلك الصديق الجميل
الذي قد رحل وتركه يعاني ويكابد الواقع والوحده بعده
.. (سرور):

يُحضرني وش صديقي لما مات
آه يا (سرور) يا راس الفساد
ليه سبت ليّ البؤس
واقف على سن الفرح ويرُصّ
حبات على حبات
خُذني منين ماتروح
يا راكب النور اللي ما وطّاش

واهديني للأحباب
لو تسمحى
ردّي عليّ الباب
لسه باقي ف الضلوع حبة هدوء فاضلين.

وهنا لابد أن تكون لنا وقفة مع الرمز في الشعر، فالرمزية مهما أخذت أبعادا كثيرة في التأويل لابد أن تحترم عقل المتلقى وألا تخرج عن مفهوم السياق أو الموضوع، قد تختلف الرؤى في تأويل الرمز ولكن في نهاية المطاف ترجع إلى مضمون الموضوع مهما اختلفت التأويلات، ولكن هنا نجد أن الرمز قد خرج بالمتلقى وببساطة إلى ما لا يقصده الشاعر، فسياق الموضوع، الوطن والوجع والساسة والحكام، وكلها تأخذ إلى سرور غير سروره، (سرور) إلى قطب من أقطاب مرحلة سياسية معينة (أحمد فتحي سرور)، ولكن شاعرنا يقصد صديقه الذي قد تركه وحيدا ورحل خاصة إذا ربطنا زمن النص برموز السياسة فيه، ومن عاصر النص في زمنه قد يختلط عليه الرمز، فهنا الرمز أخطأ مقصوده ولم يؤد إلى مرام الشاعر عند الجمهور إلا خاصته، وليس على الشاعر أن يسعى وراء المتلقى شارحا، بل يتركه ورمزه شريطة أن يكون من جسد المعاناة والموضوع. ثم بعبرية المخرج الذي يعرف كيف ينهي فيلمه

الدرامي ذا المقاطع المفككة، يضعك أمام صورة تعبر
وبكل صدق عن الانهزام ورفض الواقع والرغبة في
أن يلحق بعالم النور العلوى وبراح الفضاء والجنة
(خدني منين ما تروح - يا راكب النور اللي ما ما
وطاش)

نهاية درامية معبرة عن اليأس من هذا الواقع، وأنه قد
استسلم للموت بل ويتمناه، علّه يحظى هناك بوطن
يحبّه ويجده كما يتمناه مع صديقه الذي سبقه، ثم
يستسلم لنفسه وبعض راحته الداخلية طالبا منها
(الزوجه أو الوطن أو الحياة أو الزحمة والضوضاء
اليومية) أن تتركه وبعض هدوئه وسكينته راجيا أن
يواصل ما قد فُرض عليه من ضروريات العيش،
يرجوها متوسلا أن تغلق عليه بابه وتتركه وهدوءه.

إنه الشعر العامي ضمير الأمة ووجدانها وسجل
تاريخها الحديث في ثوب من الصدق والابتكار اللغة
المتقنة وبوعي، فكثير من النقاد اعتبروا أن الشعر
العامي بما يمتلك من أدوات ومعالجة راقية وواعية
لكل ما تمر به الأمة والإنسان، هو سجلها الأكثر
صدقا عن غيره في العصر الحديث.

شكرا شاعرنا فوزي عيسى على ما أمتعتنا به من
قصيدة راقية، صورة ودراما ولغة و حيوية معبرة و
وجدان مواطن يعيشه الوطن شعرا و نزفا و خيالاً.

حبة هدوء

فى الشارع المقفول
سيّبت من إيدي الحمام
ووقفت أستتّى البراح

.....

فين رُحت يادي الحمام
ونسيت؟!
فُط بينط

نطيت من على سور لسه مبني جديد
وزرعت حبة ضل
لسه النهار بيطل
والشمس فوق الأرصفه بتسيح
شوك الزمن راكب على المراجيح
شَبِك الأسى ف كعوبي
ما اتهديت

ورجعت تاني البيت
مخنوق من الأيام
م الساسه والحكام
من بابا جَه يا هشام
ومن مادا ومن ميدو
ومن كل اللى بنريده
دلوقت حبة حزن ع الكنبه

آخر حدود الذاكره بتمر من جرنان قديم
على ناصية الشارع
ولد نايم وحاضن سكته التايهه
على سلم الأتوبيس
شفت الوطن هربان من الأجره
عمّال بيحسب إيه اللي يجرى
لو عينين الكمساري
قفشت عينيه

.....

شم الوجع
ريحة السهر ووعيت
إن الليالي قد أوقاتها
إن المواسم تنسى اللي بي فوتها
إن الهموم مش هيّ آخر سكن
طنّ الطنين ف القلب واتمدد
زي الرحيل لبعيد
زي الشهيد ساعة طلوع الروح
خُذني منين ماتروح
يا راكب النور اللي ماوطاش
أحلامي لسه طشاش
والسكه ماتوديش
عنواني آخر أوضه في الجنة
آخر براح في الأفق

آخر سما زرقا بتضحك ضيَّ
كان الزمن واقف على الحيطه
عمّال يقول لي حي
أنا الموهوم وإيه آخره
هو الطريق دا ولا مش فاكُرُه
طن الطنين في القلب واتمدد
زي العيال ماتشأغب الحارات
زي الظنون والذكريات
يُحضرني وش صديقي لما مات
آه يا (سرور) يا راس الفساد
ليه سبت ليّ البؤس
واقف على سن الفرح ويرُصّ
حبات على حبات
خُذني منين ماتروح
يا راكب النور اللي ما وطّاش
واهديني للأحباب
لو تسمحني
ردّي عليّ الباب
لسه باقي ف الضلوع حبة هدوء فاضلين .

فلسفة الحياة والموت وفانتازيا الشعر

عند يس النحايفة

(طيب يا علاء)

(وما حدش مات م الموت) تلك الجملة الضاربة في أعماق الفلسفة الوجودية دهشة وغبابة للوهلة الأولى تنبئك أنك أمام شاعر له رؤيته و فلسفته الخاصة، فليس الشعر عنده صورا و أخيلة للمتعة والتغني كما قال الأقدمون "إن ماهية الشعر هو الغنائية"، ولكن شاعرنا اليوم يؤصل لنظرية أخرى للشعر، ألا وهي أن الشعر رؤى مضفرة بوجدان وخيال و أن المعول الأساسى هو الرؤى والقناعات التى يحملها الشعر ليكون جسر التواصل بين المبدع وما يؤمن به من فلسفات ورؤى قبل أن يكون تصويرا ولغة وخيال. فالشاعر عند يس النحايفة فيلسوف وروح من روح نبي، يجعل من الشعر رسوله إلى متلقيه كي يحمله على ما يؤمن به، وتلك القناعة لا تتأتى إلا لشاعر عرف حقيقة الشعر وجوهره، وآمن أن الشعر ليس خيالا وصورا وموسيقى فقط. فكثير ممن يكتبون الشعر نظما لا نبضا وقناعات، يمتلكون تلك الأدوات، ولكن شاعرنا يسير على نهج أبي العلاء المعرى

الفيلسوف الشاعر، الذي يصنع لنفسه عالما خاصا بعد خبرات وثقافات متنوعة، ثم تتكون لديه رؤياه وفلسفته هو، ويكون الشعر رسوله إلى مريديه.

وقصيدة يس النحيفة (طيب يا علاء) تضعك أمام شاعر له فلسفته الخاصة ورؤيته العميقة لفلسفة الحياة والموت، مستلهما تلك الرؤية بعمق فهم ووعي من تراثنا الإسلامي، وإطلاعه على الثقافة الإنسانية في أروع تجلياتها، فرغم أنه ينبع من مشكاة الفلسفة الإسلامية التي تشكل وجدانه إلا أنه يتماهى في ذات الوقت مع جوهر وحقيقة الفلسفة الإنسانية وحقيقة الوجود في جميع المذاهب، فحقيقة الوجود وماهيته الحق لا تختلف في شتى المذاهب التي تتظر وبحيادية لحقيقة الخلق والموت وإن اختلفت الرؤى وتعددت المناهج.

(طيب يا علاء)، جملة افتتاحية تثير في النفس روح الحزن والوجد والعتب المدمج بدمع الفراق على صديق قد مات، ولن أحدثك هنا يا صديقي عن ثراء الشعر العامي، خاصة عندما تغزله يد مبدع حقيقي يمتلك من جماليات الشعر وفلسفة الوجود الكثير والكثير.

ولنبحر مع حقيقة الموت وفلسفته عند يس النحيفة في تلك القصيدة الفارقة في الشعر العامي.

فإذا كان الحوار في القصيدة يثرى ويحدث الدهشة

والإمتاع، فالشاعر هنا يستدعي الماضي في حسرة
ومرارة ليضعك أمام تلك الصفات النبيلة لهذا الصديق
فتراه بعين المحب وتصادقه كما صادقه هو، ليثير فيك
روح الوجد عند لحظة الفقد، إنه الشاعر الذي يعرف
كيف يأخذك إليه ليقتنك بفكرته، فتسلم له بما يقول
بعدما يجعلك في قلب التجربة الإنسانية الخاصة به:

يس ١

- والله واحشني يا عم يس

- كداب ..

- ما انا لو واحشك كنت هتيجي تطل علىّ

- والله مشاغل

وغلاوتك انت عارفها

- عذرك بس ان انت حبيبي

هاستناك

وما جاش.

حوار بسيط وهادئ بلغة عذبة انسيابية فيها من
البساطة والسحر ما يجعلك تستشعر صدق العلاقة
الحميمة وجلالها وتستشعر طعم الدموع في الحلق
(وما جاش)، وكأن يس لم يمهلك لتعيش معهما حلوة
وعذوبة الصداقة الشفيفة ورقية تلك العلاقة الخاصة
جدا من نبل وصدق مشاعر، فيصدمك سريعا بقوله
(وما جاش)، وهنا يأخذك إلى حضرة يس النحايفة

الخاصة بما لدية من وجع ومرارة فقد ونبل شعور،
ببراعة وحلاوة التصوير الدلالي والخيالي الراقى الذي
يعبر عن شاعرية فذة في ابتكار الصور الدالة على
عمق شاعريته وصدق الحالة، فترى تلك اللغة لينة
طبيعة والخيال أخضر خصب في نضارة روحه:

ساب الحنة بتاعته ف قلبي براح
ولدلوقتي

ماحدث مستجري يهوّب ناحيتها
أصل انا خبيّتها
لحد ما اروح له
لو كان استأذن قبل غيابه
يمكن كان اداني الفرصة
أملّي الروح من طيبة نفسه
و أسامح نفسي.

وهنا تأتيك تلك الرؤية الإيمانية المقدسة أن الكل إلى
فناء، وما الحياة الدنيا إلا رحلة سفر ستنتهى يوما ما،
وسنلق بمن سبقوا، وهو المؤمن بحتمية الموت
وانتهاء الأجل يوما ما، ولكن روحه، تلك الروح
الإنسانية التى تحزن وتسعد وتشتاق وتحن، فهو ليس
بالساخط على الموت ولكنه الملتاع من مرارة الفراق،
وكان يتمنى أن يشبع من رفقة صديقه قبل الغياب.
ثم يأخذنا معه في رحلة تشبه العديّد في ميراث الصعيد

من استحضار صورة الفقيد والمحاسن ليبين بشاعة
الفقد وعظمة الوجد، وتلك لمحة تنبئك عن نشأة
شاعرنا وأنه ينتمي إلى تلك البيئة الصعيدية المتوارث
فيها ذلك اللون من الأدب الشعبي، ونداهة الموت في
الفلكلور الشعبي عند أبناء الصعيد، ولكنه الشاعر
المتقف الذي لا يمكن أن تمر القصيدة عنده بدون أن
يضع فيها بعضاً من رؤيته وفلسفته ولكن بطريقة
شعرية محببة للنفس، وأن الموت ما هو إلا ذلك
الوحش المفلوت على الناس يحصدهم كيف يشاء كل
حسب دوره، فهو المأمور بذلك ولا ضير عليه:

بتطاوع نذاهة الموت وتغيب؟!
القلب الشفاف اللي موئس صدرك
بقى يعرف يهرب
ويخبّي ميعادك عني
ويقهرني عليك؟!

كنت زمان بتغيب وبتراجع
مع إن غيابك كله حضور
بس الموت
مفلوت ع الناس
خلّى حضورك برضه بيوجع
كنت اما تهفّ علىّ القاك
صوتك

طلّة روحك
بسمّة قلبك لما تكون ويانا
أه ويانا
هاني وسيد .. عم محروس
زيزو ومروّة وعبدّه ومجدي و ..
وانا وياهم
كل حبايبك
اللي اكتشفوا النّقل المربوط ف غيابك
لما مشيت.

ثم تأتي الفقرة الفارقة في القصيدة التي يضع فيها شاعرنا خلاصة فلسفته في رؤيته للحياة والموت، وأن البشر نوعان، صنف تشّاقه وتتجسد فيه كل معاني الإنسانية الحقّة، وصنف آخر لا يحمل من الإنسانية إلا معناها الظاهري فقط، ثم الجملة المفتاحية، جملة القصيدة، قلب النص ألا وهي (وماحدث مات م الموت)، تلك النظرية التي تأخذك إلى حقيقة الموت وفلسفته وأنه ما هو إلا مرحلة انتقالية لحياة أخرى، و أن الأرواح تتلاقى في عالم آخر، عالم الخلد الذي لا موت بعده، متكنّاً على ثقافته الإسلامية في تلك النظرية، وإن كان هو المطلع على ثقافة الموت في بعض الثقافات الأخرى من تناسخ الأرواح، والأدب المصري القديم عند الفراعنة، من حقيقة البعث مرة

أخرى، وأيما تكون تلك المسميات فكلها تؤدي في النهاية إلى فلسفة وحقيقة واحدة ألا وهي (إن الموت مش بيموت). وقد يأخذك ذلك إلى مفهوم اجتماعي آخر ألا وهو أن هناك أحياء موتى بعدم تأثيرهم في محيطهم، وهناك أموات أحياء بسيرتهم العطرة ونفعهم الدائمة بما يتركونه بين الناس يستظلون به بعد غيابهم، فهم الموتى الأحياء :

فيه ناس بتعيش
وتموت ف الضلّ
زي الحسنة
تجوز في السرّ

.....
"شتان الفرق * "

ما بين إنسان وبين إنسان
واحد

بتضايق روحك لجل تعوزه
والثاني

والله ما يتعاز
- يا إنسان

واحد

بتقولها له بكل قيمتها

والثاني

بتحایل نفسك وتقولها له مجاز

.....
خد بالك م الصافيين
الهايمين في الملكوت
هايقولوا العيب على مين؟
ويرد ف قلبك صوت :
- العيب في النبي آدمين
وماحدث مات م الموت.

ولن أفسد عليك يا صديقي القارئ متعة النص
وحلاوته ولكنها رؤية سطحية جدا لنص ما أرى إلا
أن قلم النقد وأنف كلب الصيد قد يفسد حلاوته
ويحصر رؤاه في رؤية قاصرة، وسأتركك يا صديقي
ترتشف من حلاوة اللفظ ورقته وعذوبة الخيال
الضارب في عمق الوجدان، علك ترى ما يراه
شاعرنا من أن الحياة ما هي إلا رحلة سفر ولن يحيا
إلا من قد كان حيا في دنياه بعمله الصالح ومنفعته
المطلقة للبشرية على السواء .

الغيب على مين

يس ١

-والله واحشني يا عم يس
-كداب..

ما انا لو واحشك كنت هاتيحي تطل على
-والله مشاغل..

وغلاوتك انت عارفها
-عذرك بس ان انت حبيبي..
هاستناك

.....

وما جاش!

ساب الحنة بتاعته ف قلبي براح
ولدلوقتي

ماحدش مستجري يهوب ناحيتها
أصل انا خبيتها

لحد ما اروح له

لو كان استأذن قبل غيابه

يمكن كان اداني الفرصة

أملّي الروح من طيبة نفسه

و أسامح نفسي

آآه

طَيِّبْ يا علاء

بتطاوع نذاهة الموت وتغيب ؟!
القلب الشفاف اللي موئس صدرك
بقى يعرف يهرب
ويخبّي ميعادك عني
ويقهرني عليك ؟!

.....

كنت زمان بتغيب وبترجع
مع إن غيابك كله حضور
بس الموت
مفلوت ع الناس
خلّى حضورك برضه بيوجع
كنت اما تهفّ علىّ القاك
صوتك
طلّة روحك
بسمة قلبك لما تكون ويانا
أه ويانا
هاني وسيد .. عم محروس
زيزو ومروة وعبدّه ومجدي و...
وانا وياهم
كل حبايبك
اللي اكتشفوا التّقلّ المربوط ف غيابك
لما مشيت

.....

فيه ناس بتعيش
وتموت ف الضلّ
زي الحسنّة
تجوز في السرّ

"شتان الفرق"

ما بين إنسان وبين إنسان
واحد
بتضايق روحك لاجل تعوزه
والثاني
والله ما يتعاز
- يا إنساااان
واحد
بتقولها له بكل قيمتها
والثاني
بتحایل نفسك وتقولها له مجاز

خذ بالك م الصافيين
الهايمين في الملكوت
هيقولوا العيب على مين؟
ويرد ف قلبك صوت:
- العيب في النبي آدمين
وماحدث مات م الموت ٤

.....
من يوم ما مشيت
و ف كل خميس ع القهوة
الموت معزوم على قهوة
مع إن ماحدث نادى عليه
وماحدث وجه له الدعوة
لكنه بيشر ب
ويطوف بعنيه
ويعلق نَظْرُهُ ع اللي عليه الدور
يخطف ... ويدور
ما تخافش يا صاحبي
كل حبايبك دول جايين لك
إستناهم
هاني وسيد .. عم مَحروس
زيزو ومروة وعبدہ ومجدي و...
وانا وياهم.

ما بين البلاغة والفصاحة و جلال الشعر

تكمن روح الإنسان

لسه مش موسم لوردك تفتحي!!

في رثاء (مصطفى السيد شحاتة)

لمحمد حسني إبراهيم

ما أجمل التوحد في رحاب الذات البشرية بروح طفل،
وقلب عارف، ونبض من عبق النبوة!! و ما أحلى
الشعر عندما يمتزج بروح شاعر كله طفل أو طفل
قلبه ريحان، إن ما استوقفني عند الشاعر محمد حسني
إبراهيم في ديوانه (الأسامي) شئ جميل – وهو ليس
بالغريب - لكنه الغريب عن حقلنا الشعري في الآونة
الأخيرة، ألا وهو تحول التجربة الشعرية من خاصة
إلى تجربة إنسانية عامه، فكل المشاعر الإنسانية ليست
بجديدة، بل هي نفس المشاعر من لدن آدم حتى قيام
الساعة ، هكذا يتعامل معها كل المبدعين عبر
العصور، فعاش نتاجهم الأدبي وسيعيش، لأنهم و
ببساطة يعبرون عن جوهرها الصافي دون سجنها في
أطر التخصيص، فالحب هو الحب والوجد هو الوجد
والفراق والأوطان وووو إلخ. و في ديوان محمد

حسني (الأسامي) نجده لا يتحدث عن أشخاص بعينهم بقدر تحدثه عن مشاعر وأرواح عاشها معهم وبهم وفيهم، ينظر إليهم من خلال روحه الشفافة الضاربة في عمق الإنسانية الخالصة، بحرف شعري غرض ولين وعميق مثل روحه، ومن بساطة روحه وسلامة منطقته الإنساني و بحكمة فيلسوف بسيط تأتي حروفه وجمله الشعرية غاية في العمق والبساطة والجمال، تهرل بمشاعر إنسانية فياضة، فيلبسها بفطرتة النقية صوراً شعرية رهيفة ويصنع لها أجنحة من خيال، فتبدو حقيقة في عالم الخيال يخلق بها في سموات التجلي الإنساني، فتعيش مع إنسانيتك، ويُخرج منك تهيده حلوة وألف آه .

وقد آثرنا أن نستقطع قطعة من روحه الجميلة لنتذوق حلاوة الشعر وبكارة الصورة الشعرية ونرتشف من كأسه شهد الكلمة، قصيدة

(قرب وشوف)، تلك القصيدة المتوسطة الحجم التي يجسد فيها محمد فيضا من صدق مشاعر الوفاء ونبل الإحساس، ذكرى ودمعة حارة لمن فارقونا إلى رحاب السماء، ولا بد من التذكرة أن الأسامي الواردة في ديوانه ما هي إلا أسماء لأرواح هائمة في ملكوته، فهو دائم التوحد مع بني جنسه لا يراهم الا من خلال روحه الشاعرة، فالجنس البشري عنده وحدة واحدة لا تتجزأ ولا يفصله عنهم دين أو جنس أو لون أو أية

معتقدات، فهم هو وهو منهم يحبهم ويجد نفسه ملتزمة
بذواتهم، يعشقهم أحياء ويبكيهم أمواتا هو على كل
حال معهم هنا وهناك .

لسه مش موسم لوردك تفتحي!!

وتسيبي بابك للسمما وتطوحي

أحلام كتير كانت ف عينك من بعيد

باننت ولسه دموع كتيرة هتطرحي.

(لسه مش موسم لوردك تفتحي!!)، يبدأ نصه الشعري
بالتعجب متسائلا في عتب وحسرة وألم، فمن تلك التي
يخاطبها؟ ولكن المتابع جيدا لشعر محمد حسني يرى
أنه لا يخاطب إلاها فقط، تصاحبه في كل أشعاره
وفي كل خطى حياته، إنه المعجون من طينة عشقها،
دوما حبيبة واحدة

(الوطن)، وفي كل خلجاته على اختلاف مشاعره
وتجاربه يجري إليها يحادثها ويشكوها أو يشكو
إليها، يفرحها أو يعاتبها، فلا حبيبة تسمع عتابه وحزنه
ووجده وفرحه ورقصه إلا هي، وعندما يعتصر الألم
قلبه، ويدمي روحه فراق عزيز يهرع إليها يبثها دمه
وشكواه(أحلام ف عينك باننت من بعيد ... باننت ...
ولسه دموع كتيرة هتطرحي) .. لا ندري هنا أيكي

إليها محمد حسني أم يعاتبها أنها لا تزال ستبكي قلبه؟
فمازالت تخبئ له
(دموع كثير) .

ماتخوفيش الصبح خلي النور يفوت
ويعدي بر الحق ويسيننا
ماحنا اللي نورنا بيظفي بالالوجاع
واحنا وجعنا وقهرنا ف نورنا
"ده قبر مين اللي الورود مالياه
قبر اللي عدى وسابنا إحنا معاه
وده قبر مين اللي الندى باسه
قبر اللي ساب حبه مايبين ناسه".

يا لقسوة العتاب عند محمد حسني في جملة
(ماتخوفيش الصبح خلي النور يفوت) يا الله! منتهى
اللوم والوجع فماذا يطلب منها؟ وعلام يعاتبها؟ من
خلال التمعن في تلك الجملة تشتم رائحة المعاناة
الإنسانية لأبناء الوطن الذين قد تعبوا ويئسوا في
رحابها من شظف العيش والجوع والبرد وضباية

الحلم على أرضها، فيطالبها ألا تُيأسهم من رحمة السماء، فعنده كعامة الطيبين البسطاء الجنة في السماء والرحمة هناك، فيطالبها أن تتحي جانبا اختلاف أيدلوجيات رجال الدين والفلسفة وسدنة المعبد والأوصياء، و ألا تخوفهم من السماء بالعذاب المنتظر هناك، (خلى النور يفوت). ولترى المفارقة والتضاد الماتع جدا بين جملي (ما احنا اللى نورنا بينطفي بالأوجاع واحنا وجعنا وقهرنا ف نورنا)، مفارقة تعبر عن حال العاشقين المؤمنين بها والمتغربين فيها بعشقهم، ثم بعد تلك التوطئة في بداية النص من لوم وعشق وعتاب، يتناول تجربته الخاصة فيرثي روحا فاضت إلى رحاب النور زارفا دمة شوق شعرية تحمل قلبه الإنساني، وما نراه إلا إنسانا فقد عزيزا عليه فيناجيه دمة حب ورجاء .

وتطالعك الأساليب البلاغية متدفقة بعفوية بغير انتقاء، بل تأتيك عبر صدق معاناة، فترى الأسلوب الإنشائي من استفهام تعجبي فيه دخان الثورة والعتب على قطار الموت ورحلة الفراق ، ويحمل من روح الفخر والثناء على تلك الروح التي فاضت، فكان القبر نورا يأتيه ندى السماء مقبلا ومباهيا به. وتتدفق كل عناصر التجربة الشعرية بكل أدواته، من موسيقى هامسة متناغمة في الجناس بحرف السين الذي يتلاهم وجلال الفقد وحرقة الوداع وجلال الموت (باسه .. ناسه)

و(مالياه .. معاه) فحرفي (اه) تتبيك عما يعانيه من الآم
الفراق وكأنه يصرخ من أعماق قلبه بدون صوت،
فتحمل الحروف صراخه وشكواه، ناهيك عن التضاد
الراقي بعفوية قلب (سابنا ... إحنا معاه)، فيا لكم
الصدق والحب والوجع، وما أحلى اللغة عندما تحمل
ما يجيش داخل الروح من مشاعر.

ثم يبدأ في وصف رحلة الصعود بروح درويش وقلب
مؤمن بحقيقة البعث وجنة السماء، فهو الشاعر الذي
خلقت روحه الحواديث والتراث الشعبي وفلسفة الدين
وإيمان العوام، فيصور لنا رحلة سفر الأحبة إلى
هناك، وإن دل ذلك فإنما يدل على مدى ما يكنه للناس
من حب وحسن ظن بسيرتهم، فلا يعلم مصائرهم إلا
الله، ولكنه قلب محمد حسني الذي يرى كل الخلق
بررة وأنبياء .

متصورين الفرحة فوق وياك
وانت بتضحك اجمل ضحكة ف العالم
واخذ ف إيدك ونس بيكفي كل الناس
عصافير كتير
ورد المحبة وطلاتك
حواديت بنقسمها ومانعيشهاش

ترمي الوجد على جنب فى الإنعاش
وتشم ريحة الأهل والصحبة — تفرح تقوم
وترد الروح ف السفر
تسمع غناوي من ملايكة يرحبوا
أهلا يادرش يامصطفى
أهلا يا أطيب م الصفا
أهلا يابو أجمل بنات
علمتني حروف الوفا.

ولنقف هنا على معاناة الشاعر والإنسان أينما كان،
يكابد في وطنه ويعاني (حواديت بنقسمها وما
نعيشهاش) فمن خلال ذلك التعبير المجازي ترى
الكثير والكثير، ترى مثلا أن ذلك المسافر كان من
نفس مرجعية محمد حسني الإنسانية والثقافية في
اقتسام الحلم والهم والوجد في عشق الأوطان، ترى
أيضا مدى الحرمان الذي يعانيه أبناء وطنه من
تشتت واغتراب، فتلك قضية كل عاشقين على مر
الأزمان، ثم يأخذك بحلاوة روح ورقة لفظ ليخلد
تجربته الإنسانية الخاصة به ويضفي عليها ثوبا من
القداسة، يلبسها روح صديقة، فيعود إلى تجربته

الخاصة متمثلة في شخص (مصطفى) فهو عنده
الخال، وعندنا نحن لكل حبيب غال قد فقدناه. ومن
خلال قاموسه الشعري البسيط جدا ترى ملامح روح
ذلك الطفل الذي يسكنه، من طلاوة حس وبشاشة قلب
وحلاوة لسان، ذلك عندما يُنزل الملائكة من عالمها
العلوي إلى عالم الحارة بلغة الإطراء المعسول
وبشاشة الترحاب (أهلا يا درش).

أهلا يا أطيب م الصفا
أهلا يابو أجمل بنات
علمتني حروف الوفا
أهلا يادرش يامصطفى
ونردد الأوجاع ف بعدك عننا
لكن بنرجع نفكر
ضحكك وروحك لمتك
وحنان كثير بيشر من بين الكفوف
لسة هنا حبك
لسة هنا فرحك
قرب ... وشوف

(أهلا يا درش) جملة محورية في بنية القصيدة، فمرة
ثُرد على لسان الملائكة مرحبين باشين، ومرة ثُرد
على لسان شاعرنا لتحمل معنى الحب والوجع
والدموع والفرح ، ثم من خلال تتابع صفات المُرثى
نتعرف أكثر على طبيعة وفاء الشاعر لأصدقائه، فهو
لا يمل من تكرار صفاتهم النبيلة، والأجمل إنكار ذاته،
فهو يحيل صفة الوفاء لهم هم لأنهم هم من علموه
صفة الوفاء، ثم ينعطف الخيط الدرامي عنده من
مرحلة الفخر والفرحة بمكانة صديقه الذي قد وصل
إليها في السماء إلى مرحلة الدمع والوجع والفراق،
مبينا مدى مكانته عنده ومدى ما يعتريه من أوجاع
الفراق، فينكفى على ذاته في ركن الروح مسترجعا
أحلى لحظات جمعتهما معا، فيعود بنا من استخدام
أسلوب المخاطب إلى استخدام أسلوب المونولوج
الداخلي بمهارة رائعة (لكن بنرجع نفكر).

نعم، الخيط الدرامي يسير بعفوية جدا، أحيانا هادرا،
وهامسا أحيانا، وأحيانا أخرى ثورة وعتاب، ومتغنيا
في كل الأحيان، وذلك بدون حبكة مصطنعة أو وعي
مقصود، بل إنه وعي الذات بما يفور فيها من خلجات
وأحوال، هكذا عنده يسير الخيط الدرامي كالنهر في
جسد النص، رقة وعنفوانا بلا وعي خارجي، بل وعي
داخلي مستطاب.

وفي نهاية النص وكأن محمد حسني دون وعي، أراد

يعلّمنا درساً قاسياً ألا وهو: كن طيباً يخلد ذكرك وتدوم
بين البشر غنوة ونسمة وروح إنسان .

لكن بنرجع نفكر

ضحكك

وروحك

لمتاك

وحنان كثير بيثّر من بين الكفوف

لسة هنا حبك

لسة هنا فرحك

قرب ... وشوف .

نعم إنه الشاعر القصيدة أو القصيدة الإنسان، فعندما
تصدق التجربة الشعرية وتصدق العاطفة ويفور
الإحساس، تأتيك كل أساليب البلاغة طواعية تمشي
بلا استحياء .

شكراً محمد حسني وشكراً مصطفى السيد على ما
خلفته لنا من صدق الوفا وبراعة الإنسان .

لسة مش موسم لوردك تفتحي!!
وتسيبي بابك للسما وتطوحي
أحلام كثير كانت ف عينك من بعيد
باننت ولسة دموع كثيرة هتطرحي

متخوفيش الصبح خلي النور يفوت
ويعدي بر الحق ويسيبنا
ماحنا اللي نورنا بيظفي بالالوجاع
واحنا وجعنا وقهرنا ف نورنا
"ده قبر مين اللي الورود مالياه
قبر اللي عدى وسابنا إحنا معاه
وده قبر مين اللي الندى باسه
قبر اللي ساب حبه مايبين ناسه"

متصورين الفرحة فوق وياك
وانت بتضحك اجمل ضحكة ف العالم
واخد ف إيدك ونس بيكفي كل الناس
عصافير كثير

ورد المحبة وطلتك

حواديت بنقسمها ومانعشهاش

ترمي الوجع على جنب فى الإنعاش

وتشم ريحة الأهل والصحة — تفرح تقوم

وتردد الروح ف السفر

تسمع غناوي من ملايكة يرحبوا

أهلا يادرش يامصطفى

أهلا يا أطيب م الصفا

أهلا يابو أجمل بنات

علمتني حروف الوفا

أهلا يادرش يامصطفى

ونردد الأوجاع ف بعدك عننا

لكن بنرجع نفكر

ضحكك وروحك لمتك

وحنان كثير بيثُر من بين الكفوف

لسه هنا حبك

لسه هنا فرحك

قرب ... وشوف

تكنيك الصورة الشعرية

ما بين الحارة والتحليق

عند أمل عامر في (شلال حنان)

إذا كان مثلث التجربة الشعرية يقوم على أضلاع ثلاثة، ما بين الفكر والوجدان والتعبير، فإن من أهم محاور التعبير الصورة الشعرية، التي تتعانق مع الأسلوب واللغة الموحية، وإذا كانت اللغة الشاعرة توحى بمضامين النفس الشاعرة وخلجات الروح، فإن الأسلوب يعكس ما يمور داخل النفس الشاعرة، من نوازع و صراعات، وحلاوة النص الشعري تكمن في تخليق وابتكار الصورة الشعرية، التي ينسجها الشاعر بنبض روحه ونداوة خياله، متفردا عن غيره ومبهرًا المتلقى بحلاوة التصور، ورسم عالم من خيال يجسده واقعا، والشاعر المتفرد وحده هو القادر على صناعته والتحليق في سماء المتعة بمدى عبقريته الشعرية وثقافته وأدواته، ولا يختلف في ذلك الشعر الفصيح أو العامي، فكلاهما جناحان لطائر الشعر الجميل، والشاعر الحق من يمتلك مهارة خلق وابتكار الصورة الشعرية بتفرد وابتكارية، مع إقناع المتلقى بعالمه الافتراضي، لأنه واقع مُعاش داخل روحه.

ونجد ذلك عند أمل عامر في قصيدتها (شلال حنان)،

حيث يظهر ذلك جليا في ابتكار وتخليق صورة،
تعكس مدى الحنين لزمن الأبوة الدافئ والبركة
الصادقة، راسمة لنا عالماً من الخيال الخصب الذي
يشع حنيناً وحناناً شجيلاً، ناسجة لعالمها الأبوي صورة
من الروحانية وهالة ملائكية جميلة:

دقة عكازه على الأسفلت
بتصحي في قلوب الملائكة
يسبق نهاره
و يأمهم لصلاة الفجر
تضحك شبابيك جامع الأزهر
لما تشوفه
وحيطان الجامع تتعطر
ببخور أنفاسه .

فقد جعلته إماماً، ليس فقط للبشر بل لكل ما هو
روحاني ونوراني في الحياة، وتضفي من روحه على
الجماد الكائن، فيتحول إلى روح، ثم تسحبه ببراعة
إلى أرض الواقع لينشر عبيره بين جنبات الحارة
بخيريته الإنسانية المفطور عليها:

وما بين الحمزاوى و بيبرس
ماشي يوزع في حنانه
علي خلق الله
ويطبطب بكلامه الدافي

علي أبعد جار.

وهنا ترى الالتقاء بين عالمين، عالم النور السماوي المتمثل في (الملايكة، صلاة الفجر، بخور أنفاسه) وبين عالم الإنس المعتق بدفء الحميمية الصادقة لأبيها مشاركا لحارته.

خليط بين عالمين ممتزجين بوحى صورة منسوجة بخيوط الوعي الشعري والشعوري معا، ويظهر ذلك في (بخور أنفاسه و يطبطب بكلامه الدافي) في مهارة جعلت المعنوى متجسدا والمادي روحانيا بكل شفافية . وتستمر الشاعرة في رسم الصورة الشعرية المعبرة عن الشجن وحنين الروح إلى تلك المرحلة العمرية من دفء الأبوة.

صور تثير في النفس دمة حنين ومتعة، فتتذوق الصورة العطرة التى تبلور صورة الأب في أبهى حلة له، و ترى وجعها وحزنها مزروعا صبارا في بلكونتها، تلك التى كان يقف بها الأب، شجرة للدفع والأمان، تطوف فراشات البراءة حول نوره، مستمتعة بصوته الرخيم الحاني المتحني بأمان الدنيا:

قلبي المحتار
بيخاف م الذكري
وبيهرب م التفاصيل
لسه الوجع رغم السنين
مزروع مع الصبار
في بلكونة
كان لما يطل عليها
تفرح فساتيني
وتزقزق علي حبل غسيل
وتحوم فراشات ستايرنا
حوالين ضيه
صوته المتحني بأمان الدنيا
بيطمن قلبي
وبيرسم لي مداين فرح.

ولابد من الوقوف على شئ مهم عند الشاعر الواعي،
ألا وهو أنه رغم بكاره وندوة وتراحم الصور
الجميلة، لابد ألا ينسى الشاعر العمود الفقري و الخيط
الدرامي للنص، فبرغم أنها تتماهى مع ذلك الحنين
والوجع، ترى هذا فى تصوير الأب المستمر الدائم بين
السطور، فهو لا يغيب عنها وسط حالة الشجن وتراحم
صورها (حوالين ضيه) .
عالم التصوير المجازي عند أمل عامر لا يتأتى

اعتباطا وليس استظهارا لموهبتها الشعرية، بل
تستخدمه بحرفية راقية لتعبر عن حالة شعورية و
وجدانية، تبرز عالمين متباعدين زمنا، عالم
الطهر والدفع في حضرة الأب، وعالم الشجن والوجد
التي تعانيه في ظل الغياب والتباكي عليه، مستخدمة
الصورة التعبيرية في إظهارهما معا، دون أن يجور
أحدهما على الآخر :

مر الشكوي
دلوقت بستناه في الحلم
نفس الضحكة
والنور بيحاوطه
من الأركان
مادد ايده
أجري
واتخبي
في ضل عينيه
لساه المصحف مستتي
يوم الجمعة
وسورة (الكهف)

و في نهاية تلك اللوحة التعبيرية، نراها تتسحب في
هدوء وتتكفى على عالمها الداخلي في عزلة،
مستحضرة صورته لتعيش فيه وبه ، ذلك العالم الذي
قذ ذاقت حلاوته، لتريك مرارة الفقد و غربة الواقع

الذي تعيشه، و قد ضاعت فيه كل معاني الأبوة الحانية
و القيم، وأن الواقع كله على اتساعه لم يغنها ولم يشبع
ذاتها أو يعوضها عنه .

وكما بدأت قصيدتها بعبق صوفي ديني، تنتهيه أيضا
بذلك العبق المتمثل في صورته قارئاً لسورة (الكهف)
فقد صنعت له هالة من الجلال و الوقار بين جنبات
روحها، وبين أزقة الحارة التي تنتظره و ما تزال
تسأل عنه .

شلال حنان

دقة عكازه علي الأسفلت
بتصحي في قلوب الملايكه
يسبق نهاره
و يأمهم لصلاة الفجر
تضحك شبابيك جامع الأزهر
لما تشوفه
وحيطان الجامع تتعطر
ببخور أنفاسه
ويفوح بشذاه
حتي المادنه بتميل وتسلم
وما بين الحمزاوى و ببيرس
ماشي يوزع في حنانه
علي خلق الله
ويطبطب بكلامه الدافي
علي أبعد جار

...

قلبي المحتار
بيخاف م الذكري
وبيهرب م التفاصيل
لسه الوجع رغم السنين
مزروع مع الصبار

في بلكونة
كان لما يطل عليها
تفرح فساتيني
وتزقزق علي حبل غسيل
وتحوم فراشات ستايرنا
حوالين ضيه
صوته المتحني بأمان الدنيا
بيطمن قلبي
وبيرسم لي مداين فرح
أعيش أيامي أغنيه
وديوانين شعر
واغذي القلب بالطيبة
اللي ف ملامحه
سكر نباته يحلى لي
مر الشكوي
دلوقت بستتاه في الحلم
نفس الضحكة
والنور بيحاوطه
من الأركان
مادد ايده
أجري
واتخبي
في ضل عينيه

لساه المصحف مستتي
يوم الجمعة
وسورة (الكهف) بتتوضي
وتسالني عليه

دوبيت الحلم والحياة وكوميديا الزمن

عند صبري على و (رباعياتي)

الرباعية مقطوعة شعرية من أربعة أبيات تدور حول موضوع معين، وتكون فكرة تامة وفيها إما أن تتفق قافية الشطرين الأول والثاني مع الرابع ويسمى (الدوبيت الأعرج)، أو تتفق جميع الشطور الأربعة في القافية ويسمى (الدوبيت الكامل) وهو يقوم على اللغة السهلة (لغة الشعب) بلا تكلف أو تعقيد، لغة تمس حياة البشر كافة دون تمايز بين طبقات المجتمع من ثريها إلى فقيرها، فالجميع يشترك إلى معرفة مصيره ومثواه وجدوى حياته ويريد أن يطل من خلاله على حياة الآخرين، ويرى نفسه من خلال عيون الناس وتجاربهم.

الجدير بالذكر هنا هو استخدام كلمات وعبارات قابلة للتأويل في فن الرباعيات، أهمها استخدام أشياء متداولة وفي متناول أيدي الناس، خاصة الطبقات الفقيرة والمتوسطة، فتتجسد في الرباعيات مفردات خاصة لدى من يعزف على منوال الرباعية، فالشاعر دوما ابن زمانه، يستلهم مما حوله ما يعينه لتوضيح فكرته، ويجعلها حياة بين الناس. ومن أهم ميزات

الرباعيات أنها تقارب فن الحكم عن العرب، من تضمينها موضوعات تعبر عن خبرة السنين وخلاصة فكر وفلسفة الشاعر في مساحة قليلة من البوح والنسج، محصورة في كلمات قليلة، مما يجعلها تعلق بالذهن ويسهل حفظها، مع حسن الصياغة وحلاوة السبك، وبما تشتمل في الكثير من الأحيان على روح التندر والفكاهة الموجهة، أو مما نسّميه بالكوميديا الباكية، وليس السوداء.

والرباعية نمط من أنماط الشعر في الأدب الفارسي والعربي، وهي فارسية المنشأ، وأشهر الرباعيات على الإطلاق رباعيات (عمر الخيام)، خاصة تلك التي ترجمها (أحمد رامي) وجعلها مصرية الهوى بما أضفاه عليها من روحه وحسه.

وكثير من الشعراء في عصرنا الحديث برع في فن الرباعيات ومارس العزف على أوتارها مبتعدا عن منوال القصيدة، فصيحة أو عامية، ذلك لسهولة النسج وبساطة الحبكة. وقد شاعت بفضل حسن منطقهم وحلاوة أسلوبهم وجزالتها، وما تضمنته من كوميديا ساخرة، والطرفة التي عبرت عن أوجاع وأحلام المجتمع، كذلك آليات العصر وتسارع وتيرة الحياة التي لا تحتل ثقل وطول القصيدة أيا كانت، كذلك ساهم الإعلام بحظ وافر، لاستخدامها في مقدمات الأفلام والرسم الكاريكاتيري والتواشيح وحلقات

الذكر، من أمثال بيرم صلاح جاهين وسيد حجاب.

وقد وجد شاعرنا صبري علي مندوحته وضالته في فن الرباعيات، ووجد فيها ضالته وهواه، من خفة روح وبساطة تعبير و روح التندر والفكاهة اللاذعة عنده، فعزف على أوتارها البسيطة جدا، بساطة روحه الإنسانية دون تعيق أو إطالة، وكأن عمله قد ساهم بشكل كبير في اختياره لقلب الرباعيات، لتضمن ما يجيش بروحه وحسه، فمجال الهندسة يلائمها وبالطبع جودة السبك وجزالة المعنى ورصانة الفكرة مع الاختزال والوصول إلى النهايات المنطقية من أقرب طريق دون إطالة أو استطراد وإسهاب في عرض فكرته و رؤاه.

وفي ديوان (رباعياتي) نرى صبري علي يتحرك على أربعة محاور رئيسة في رباعياته، من جوهر الحب الفطري الصادق، و الكوميديا الساخرة اللاذعة بروح التندر والطرفة، و خبرة السنين وفلسفته في الحياة، ثم العزف على ضياع الحلم و الإتكاء على القدرية والعجز البشري.

وأكثر رباعيات الديوان يتبلور فيها تلك الروح الشفافة الفطرية للشاعر، من الإيمان حد اليقين بماهية الحب وإيمانه بأن الحب هو سر الوجود، أيا كان هذا الحب دون تصنيف أو تحجيم لمفهومه، فمفهوم الحب عنده

واسع يشمل الكون من حبيبة وأهل وأم وصاحب
والجنس البشري عامة:

فدادين حنان يا أمي .. مزروعة فوق كفك
بين الحياه و الموت .. واقف أنا في صفك
يوماتي أحلم بطيف .. ملّس على شعري
و المح شعاع من نور .. في الجنة بيزفك.

فقمة الحب عنده أمّ تسكن وجدانه في الحياة وبعد
الموت، وكذلك أهلّ وجارّ وعشرة وصاحبٌ يحمل
همه ويكون سنده ويجعل للحياة طعم :

هي الحياه دي إيه من غير مودة وحنان؟
و خلّ يشكي لخلّه لو كان في يوم تعبان
و خلّه ياخذ بإيده ويشيل معاه حزنه
ويقول له “ نقسم ما بينا الفرح و الأحزان.

وهو عنده المحبوبة والخصن والرغبة البشرية في
حب الجمال والحنين إلى ضلع امرأة :

شميت عطور الحياه في إيديك و في جبينك
ألمس إيديك الشمال ... أحن ليمينك

أمانة لو طار فؤادي جراح

من بين ضلوعي وراح

سابق عليك النبي

لتشيله في عيونك.

ولا تخلو عاطفة الحب من لوعة وعتاب، وبروح
المحب الشفيق الحاني يعاتب محبوبه في:

مديت إيدي بورده .. ونزعت منها الشوك

و سألت روحك سؤال "عينيا دول وحشوك؟"

الوردة دبلت وإنّت لسه ماجاوبتش

لسّاك مصدق عوازلى .. وهم بيغشوك!!

الحب عند صبري على هو روح الحياة وإكسيرا
الذي لا يمكن أن تكون بغيره، ولا يمكن أن يحيا بدونه
المرء، شابا أو كهلا، فهو سر الحياة وروحها :

الحب مش راح يهمه إذا كنت شاب أو كهل

الحب إحساس دفا ويّا الصحاب والأهل

الحب حد يراعيك .. يسكن قلبيه فيك

ويصير معاه الفراق والله شئ مش سهل.

ونرى أن أهم خصيصة تميز فن الرباعيات هي روح
الحكمة، التي تختزل خبرات السنين في رباعية قد
تكون دامية وموجعة، فهي تقارب وتداني فن الحكم
عند العرب، لتختزل خبرات وخبرات في مساحة
إبداعية مختزلة، فيجد فيها المتلقي ضالته دون
الإسهاب و الإطالة، ويعزف صبري على برباعياته
على وتر الحكمة والوجع في:

على عتبة الستين اكتشفت إن السنين بتقوت
ولقيت البدن تعبان وسمعت للقبر صوت
أنا قولت “ يا نفسي يا مغروره ما تتهدي ”
أمانة عليك لتوبي قبل اما يبجي الموت.

والدوبيت الحكيّ عند صبري علي مغلف برداء
لاذع من التبكيت الحزن والتندر والوجع :
أوقات كثير باحس إنني مش عايش
مهزوم و مشنت كما توب قديم بايش
نص أفكاري بتتعارك مع نصها الثاني
و أقول لقلبي “ حوش ” يقول لي “ مش حايش ”.

والرباعيه عنده لسان صدق لحال شعب مقهور، يئن
تحت وطأة الحزن وسيف القدر، خاصة طبيعة الشعب
المصري الذي من جيناته خصيصة الحزن والشجن
ومر الشكوى :

باقف ويّا الحزن ع الناصية يوماتي
عدّى علينا الفرح مره وقال : “ تحياتي ”
راح الحزن منتترفز وقام ضاربه
أنا قولت “ أتاري الفرح غلبان قوي زي حالاتي ”.

ودائما ما تعكس الرباعيات لسان حال الإنسان من
البكاء على ذلك العمر الذى ولى من بين يديه وقد
سرقته آلة الزمن وهو لا يدري:

حاولت أسابق الزمن .. كان دائما ببيسبقتي

و لو صبغت شعري ألّمح بياض دقني

بالصدفة قابلني صاحبي م الجامعة و سألني

“ إنت ده معقوله ؟! ” قلت له “ أيوه صدقني.

وتتشعب الرباعية في داخل النفس البشرية بالحس
الشعبي، داخل أروقة الإنسان في شتى نواحيه،

وأكثر ما يتباكى عليه الإنسان ضياع حلمه وعدم تحقيق أمنيته، ولا يختلف فيها القاصي والداني. وتضرب الرباعيات بعمق في التباكي والندم على الأحلام الضائعة، والأمني التي أكلها الزمن ودوبتها السنين، فنرى صبرى على يجسد لنا تلك المعاناة بدمعة شجن فيها شئ من التبكيت واللوعة :

كان نفسي من صغري أطلع فيلسوف
أغمض عينا وبحكمة الزمن أقدر أشوف
للأسف غمضت عيني مره ولما فتحتهم
لقيت قلبي اتملا قلق و رعب وخوف.
فيالحكمة الزمن وقدريته! وأنا دوما ما نكون ريشة في
رياحه وعواصفه :

حاجات كتير في الحياه ما قدرتش أفهمها
ساعات باشوف أحلام كان نفسي أحلمها
والاقيها متحققة بسهولة قدامي!!
وحاجات كتير سهلة ما قدرتش أحسمها.

ومن أهم سمات فن الرباعية، وما جلعها تنتشر وتذيع على نطاق واسع جدا، روح التندر والفكاهة، والطرفة الموجهة التي تغلف الحقيقة و الوجد بالضحكة

الساخرة، فهي تحاول أن تخفف مرارة الواقع برداء
من الطرافة الساخرة وإن كانت دامية :

حاربه بكل قوة ولا قدرتش عليه
أخلص من اكتئاب .. القى اكتئاب بعديه
ساعات كثيره أبكي ..
ساعات م الوحده أشكي
ساعات تلاقيني اهيس واقعد أرقص باليه
وكذلك :

كنت عايز أصبَح ... قمت من بدري
كنت عايز أقوله .. ، حتّه من شعري
كنت عايز أقوله .. إن ليه وحشة
لكن .. أوّل ما شافني ... على طول طلع يجري.

وكذلك الوجد المُغلّف بالبسمة المُرّة في استحالة تحقيق
الفرح والسعادة:

حاولت أفرح ... لقيت الفرح بيكلف
عطور و زينة وصحبة ورد تتغلف
و أما الحزن دا صاحبي وعلى قد الإيد

أقوله نفرح يقول لي “ إنت متخلف ؟!

الله رفقا يا وجع الغلابة فقد تعبوا!!

ولا يمكن أن تخلو الرباعيات من محاولة رسم البهجة والفرحة، ولو بسمه ظاهرية، ولكنها قد تسعد قلوبا قد تعبت، ولكن الرباعية فن الشعب ولسان حاله :

أعلنته بالحب على يد محضر

و اترجيته بأدب يعطف بقى ويحضر

قال: مانيش جاي .. هو الحب بالعافية ؟!

سألت محامي قال “ روح اعمله محضر ”

وكذلك روح الدعابة التي تمتلك الشعب المصري في أحلك المواقف الحياتيه، ولكنه أبدا ما يهزأ ويسخر في :

سألني الطبيب : مالك ؟ قولت ليه “ مصدع ”

سألني أخبار الأمل ؟ قولت له “ اتصدع ”

قال لي “دواك نظرتين يوماتي في عيونها ”

خليك حريص ع الدوا يا إما هتودع.

إن المتأمل بحكمة ووعي وهدأة روح وفطنة عقل، يستخلص من خلال ذلك العرض البسيط لديوان بسيط

بساطة روح صاحبه (رباعياتي) لصبري على، يعلم
السر وراء زيوع وانتشار فن الرباعيات أو الدوبيت
في المجتمع المصري، ومنها انطلق إلى حيث أفق
عروبي ساعد الإعلام بكل وسائله أن يكون عروبيا لما
لسحر الأغنية المصرية، أو لعبقرية فن الكاريكاتير،
والبرامج الإذاعية الفكاهية تعرف السر وراء انتشار
هذا الفن من عصر رامي، إنه قد جاء متماهيا مع
طبيعة العصر الذي نحياه من سرعة حركة على كافة
المستويات، وحاجة إنسان ذلك العصر إلى وجبة ذهنية
دسمة وخفيفة تعبر عما يلاحقه ويعانيه، وتكون لسان
حاله ومستودع آهاته وأحلامه، بتناولها وجبة سريعة
في خضم حياته الضروس، ضاحكا وساخرا وحالما
وثائرا ومتوجعا ومتخذها صرخة وسهما بلاغيا
لحكامه و لواقعه وقدره، علهم يشفقون به و أن
يرضوا.